

صدوره من شيخ مشايخ الامامية المخالفته لأصول المذهب، لأنه يقر فكرة الجبر التي تنكرها الفرقة الاثني عشرية أشد الانكار، ولو كان ممن يرى هذا الرأي، لعرف واشتهر ونقل عن كتابه المشهور "البيان في تأليف القرآن" أو عن آثاره الأخرى الكثيرة التي تقرب من ثلثمائة كتاب في مختلف العلوم والفنون، والذي نحتمله بل ونعتقد أن الشيخ المفيد معروف لدى العام والخاص بقوة الجدل والمناقشة والتمرس بفن المناظرة والمحاورة، وكان كسقراط مع تلاميذه يحاورهم في المسائل الدقيقة لاختبار عقولهم ومعرفتهم بما يلقيه عليهم من شبهات المعتزلة من آراء النظام وأصحابه القائلين بالصرفة كأبي اسحاق النصيبى، وعباد بن سليمان الصيمرى، وهشام بن عمرو القوطى، والمردار، وأبى الحسين البصرى وأمثالهم هذا عدا ما كان ينفرد به من خوض المعارك الكلامية، والمناظرات الفقهية ومجادلانه في المنقول والمعقول في مجالس العلماء والامراء مع مخالفه فيورد عليهم الآراء والنظريات المشكلة التي يقولون بها حسب مذهبهم، ثم يقارع حجتهم بالحجة، ويفند الدليل بالدليل، ولا يبعد أن مسألة الصرفة كانت احدى تلك المسائل التي ناظر بها أقطاب المعتزلة، فوقع في نفوس البعض أنه من القائلين بها وهو اشتباه لا يستند إلى بحث وتحقيق، كثيراً ما وقع مثل هذا في نقل الآراء ورواية الأخبار، واستنساخ والكتب والآثار. أما ما نسب إلى تلميذه الشريف المرتضى من قبل العلماء فيجيب عنه علامتنا السيد هبه الدين الحسينى في رسالته (المعجزة الخالده) بقوله: نسبة هذا رأى إلى علامتنا الشريف المرتضى على بن أحمد التوفى سنة 436 هـ، فانه - طاب ثراه معروف به قوه الجدل والتحول في حوار المناظرين إلى هنا وهناك فلا نعلم هل بقى ثابتاً على هذا النظرية كعقيدته راسخه، أو تحول عنها؟ وهذا المذهب أعوج أعرج، أو كما قيل، حرفة عاجز وحجة كسول، لا يليق أسناده إلى علمائنا الفحول، لأن اﻻﻋﺰﺷﺄﻧﻪ، فياض العدل، ذو رأفة وفضل، فهو أرفع شأننا من أن يأمر الانس والجن بأن يباروا القرآن، ويرضى منهم بمباراة بعضه لو تعذر عليهم كله. ثم يعترض سبيلهم، ويصرف منهم القوة والهمة، ويمنعهم من أن يأثوا بما أراد منهم.